

الرسالة

(أفسس ٤: ١-٧)

يا إخوة أطلبُ إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحقُّ للدعوة التي دُعيتُم بها* بكلِّ تواضعٍ ووداعةٍ وبِطولِ أناةٍ محتملين بعضُكم بعضاً بالمحبة* ومجتهدين في حفظِ وحدةِ الروح برباطِ السلام* فإنكم جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ كما دُعيتُم إلي رجاءِ دعوتكم الواحد* رب واحدٌ وإيمان واحدٌ ومعمودية واحدة* وإله أبٌ للجميع واحدٌ هو فوق الجميع وبالجميع وفي جميعكم* ولكل واحدٍ منا أعطيت النعمة على مقدارٍ موهبة المسيح.

الإنجيل

(لوقا ١٣: ١٠-١٧)

في ذلك الزمان كان يسوع يعلم في أحد المجامع يوم السبت* وإذا بامرأة بها روحٌ مرض منذ ثماني عشرة سنة وكانت منحنية لا تستطيع أن تنتصب البتة* فلما رآها يسوع دعاها وقال لها إنك مُطلقة من مرضك* ووضع يديه عليها

القديس أمبروسيو أسقف ميلان

في السابع من شهر كانون الأول تُعيد كنيستنا المقدسة للقديس أمبروسيو أسقف ميلان .

وُلد القديس أمبروسيو في بلاد الغال (فرنسا الحالية) حوالي سنة ٣٣٧. كان أبوه، واسمه أمبروسيو أيضاً، ضابطاً أعلى لشؤون أوروبا الغربية

وموريتانيا. أما أخواه مرسيلينا البتول وساتيروس فقد أعلنت الكنيسة قداستهما أيضاً.

توفي والده وكان بعد صغيراً فعادت به أمه مع أخته وأخيه إلى روما حيث

تلقى علومه فدرس اليونانية ونبغ في البيان والفلسفة والخطاب. انتقل بعد ذلك إلى ميلان حيث درس القانون وصار محامياً. عينه أنيسيوس برويس، المولى على إيطاليا، مستشاراً لديه ثم حاكماً لمقاطعتي ليغوريا وأميليا في شمال إيطاليا. وبرويس كان رجلاً مناقبياً فاضلاً نزيهاً حليماً. فلما أراد أن يزود أمبروسيو بتوجيهاته لم يجد من النصح خيراً من حثه على أن يحكم لا كقاض بل كأسقف. وبالفعل، سلك أمبروسيو في

حاكميته كأسقف، يقظاً، مستقيماً، رؤوفاً.

عام ٣٧٤ توفي أوكسنتيوس، أسقف ميلان، وكان أريوسياً. حدث نزاع كبير في المدينة بين المؤمنين وبين الأريوسيين حول اختيار خلف له وكادت تقع أعمال شغب، فاستدعى الحاكم أمبروسيو لضبط الوضع. لما حضر وقف في الناس خطيباً فأعطاه الحاضرون سكوتاً عميقاً لأن الجميع كانوا يجلونه.

العدد ٢٠٠٣/٤٩

الأحد ٧ كانون الأول

تذكار القديس أمبروسيو

أسقف ميلان

اللحن الثامن

إنجيل السحر الثالث

ففتح فاه ودعاهم إلى جعل اختيارهم بروح السلام ليكون لهم أن يختاروا الأفضل عليهم. اتسم كلامه بالحكمة والوداعة والعذوبة

فلامس قلوب سامعيه وحول أنظارهم إليه، فهتفوا بصوت واحد: «أمبروسيو أسقف».

لم يصدق أمبروسيو أول الأمر، ولما استمر المحفل في الهتاف «أمبروسيو أسقف» اضطرب وترك المكان للحال. إلا أن الناس لحقوا به فحاول ردّهم فلم يرتدوا. رضخ أخيراً لطلب أهل ميلان، وخاصة بعد تدخل الإمبراطور فالنتيانوس الأول، وأسلم نفسه لله، فتّمت معموديته وارتقى الدرجات الكهنوتية حتى الأسقفية في غضون ثمانية أيام. نشير هنا إلى

اعتقاد شائع في أيامه أن من يسقط في الخبيثة بعد أن يقتبل المعمودية يعرض نفسه للهلاك. لهذا السبب كان بعض الناس يؤجلون المعمودية أولادهم إلى سن متقدمة، والقديس أمبروسيوس كان من هذه الفئة.

ما إن ارتقى أمبروسيوس سدة الأسقفية حتى عمد إلى توزيع ما اجتمع لديه من ذهب وفضة ومقتنيات على الفقراء، فيما وهب الكنيسة ما كان يملكه من أراضٍ وعقارات، وأبقى فقط على ما يسد به حاجات أخته البتول مرسلينا. بعد ذلك انصرف إلى دراسة الكتاب المقدس وكتب الآباء ومعلمي الكنيسة، لا سيما القديس باسيليوس الكبير وأوريجنس المعلم.

انصرافه إلى رعاية شعبه كان كاملاً. الفقراء في عينه كانوا الوكلاء والخازنين الذين يستودعهم مداخيله. اعتاد أن يستقبل الناس الوافدين إليه كل يوم طلباً لمشورة أو نصيحة. لم يتوسط لإنسان في وظيفة لها علاقة بالقصر الملكي ولا حاول البتة أن يقنع أحداً بالانخراط في الجندية، لكنه كان يسعى أبداً إلى إنقاذ حياة المحكومين بالموت. اعتاد أن يبكي مع الباكين وأن يفرح مع الفرحين. كان يحث المؤمنين على المناولة بتواتر والخطأة التائبون كان يرأف بهم ويدعوهم إلى الاعتراف بخطاياهم ويبكي عليهم ومعهم.

كان شديد العناية بكهنته ويحبهم ويسهر على نفوسهم ولا يختار أحداً للكهنوت إلا بحرص شديد، يعلمهم بالمثال ويرشدهم بالكلمة. الكاهن الصالح كان عنده كنزاً ثميناً يفوق كل ما نتصوره قدراً.

كذلك اهتم القديس أمبروسيوس بتنظيف أبرشيته من الهرطقة الأريوسية، حتى إنه في غضون إثني عشر عاماً من بدء أسقفيته لم يبق

على أرض ميلان مواطن واحد على الأريوسية ما خلا بعض الغوط وأفراد قلائل من العائلة المالكة. لم تلبس صلابته حيال الهرطقة والهرطقات، حتى إنه واجه الإمبراطورة يوستينة الأريوسية ولم يدعها تصل إلى مأربها أكان في إعطاء كنيسة من كنائس أبرشيته للأريوسيين أو في ترحيله عن الأبرشية.

في مجال تحصين المؤمنين ضد الهرطقة الأريوسية عمد القديس أمبروسيوس إلى وضع أناشيد تتضمن حقائق الإيمان القويم أخذ الشعب في إنشادها. وإليه يعود الفضل في إدخال الترتيل المزموري على الأسلوب التنادبي المعروف في الشرق.

مواجهته للملوك بلغت حد التأديب، فبعد أن أمر الإمبراطور ثيودوسيوس العسكر بأن يحصدوا سبعة آلاف من سكان تسالونيك نتيجة اضطرابات وفوضى حدثت فيها سنة ٣٩٠، بعث إليه القديس أمبروسيوس رسالة صارمة حثه فيها على التوبة وأعلمه أنه إلى أن يتمم فروض التوبة كاملة فإنه لن يقبل تقدماته ولن يقيم الذبيحة الإلهية في حضرته.

عندما جاء الإمبراطور إلى ميلان أراد الدخول إلى الكنيسة غير مبال بالقصاص الذي فرضه عليه أمبروسيوس. فخرج إليه قديسنا ومنعه من دخولها موبخاً إياه لأنه لا يدرك فظاعة المذبحة التي ارتكبها. ولم يرض أمبروسيوس إلا أن يتمم الإمبراطور توبته. وقبل أن يمنحه الحل من خطيئته ألزمه بإصدار مرسوم بإعطاء مهلة ثلاثين يوماً قبل تنفيذ أي قرار بمصادرة أملاك أحد أو الحكم عليه بالموت لئلا يكون القرار المتخذ بحقه قد اتخذ بتسرّع أو عن هوى.

وفي الحال استقامت ومجدت الله فأجاب رئيس المجمع وهو مغطاً لإبراء يسوع في السبت وقال للجمع هي ستة أيام ينبغي العمل فيها. ففيها تأتون وتستشفون لا في يوم السبت* فأجاب الرب وقال يا مرثي أليس كل واحد منكم يحل ثوره أو حماره في السبت من المذود وينطلق به فيسقيه* وهذه وهي ابنة إبراهيم التي ربطها الشيطان منذ ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي أن تطلق من هذا الرباط يوم السبت* ولما قال هذا خزي كل من كان يقاومه وفرح الجمع بجميع الأمور المجيدة التي كانت تصدر منه.

تأمل

ينبغي لنا أن نتمسك بأقوال ربنا ونحافظ على خلاص نفوسنا لنكون أهلاً لقبول المواهب الإلهية والخلود في النعيم الأبدي. فإن الذين كانوا ينظرون إلى طهارة الأجسام والأواني وتفضيل الأيام حتى بلغ من جهلهم أنهم ينكرون على من يفرك يوم السبت سنبله أو يشفي مخلعاً وأمثال ذلك سقطوا من مراتب الفضيلة وحسبوا مع الخائبين. لأنه إنما يريد رحمة لا ذبيحة. ولهذا ينبغي لنا الاهتمام بمصالح النفوس لا بالأيام

بحد ذاتها ولا بالأشياء المصنوعة لخدمة الناس. ولهذا لا نزنُّ يا هؤلاء انه يجدينا نفعاً في أمر الخلاص أن نغصب أموال اليتامى والأرامل وأمثالهم ونصنع بها كأساً للقربان من ذهبٍ مرصعاً بالحجارة الكريمة ومائدةً للأسرار المقدسة وغير ذلك. ولكن إن أردت يا هذا أن تكرم الذبيحة الطاهرة فإكرم الأنفس التي ذُبحت لأجلها لأن سيدنا له المجد نزل هذه الأنفس منزلته حيث وبَّخ الذين لا يهتمون بها بقوله جعت فلم تطعموني وعطشت فلم تسقوني وكنت عرياناً فلم تكسوني وغير ذلك من العبارات الواردة في الإنجيل الشريف. فإن أهملت هذه وتركتها وصنعت لتلك أواني من الذهب والفضة فإنك لا تستفيد شيئاً. ولهذا أقول لك لا تهتم بأن تصنع للكنيسة أواني ذهبٍ وفضة أو هياكل مرصعة أو ستوراً ثمينة بل افتكر كيف ترضي الذي تفعل ذلك من أجله فإن هذا أفضل من الذهب الخالص لأن الكنيسة ليست قاعة ملك بل هي محضر الملائكة. ولهذا تحتاج إلى إصلاح النفوس لا إلى الأواني النفيسة. والله تعالى إنما يقبل العناية بالنفوس لا

نشاطه الرعائي والاجتماعي والسياسي رافقه إنتاج فكري غزير شمل التفسير الكتابي والمواظ والكتابات النسكية والعقائدية والأخلاقية والأناشيد الكنسية بالإضافة إلى المراسلات التي تلقي الضوء على شخصيته وعلى بعض الأحداث في حياته. المواضيع العملية الحياتية طغت على كتاباته ومواظته أكثر من المواضيع العقائدية اللاهوتية البحتة، وكان يرجع فيها إلى كتابات الآباء كالقديس باسيليوس الكبير وديديموس الأعمى.

سطع بهاء قداسة القديس أمبروسيو في كل مكان حتى إن بعض الفرس من ذوي الرفعة أتوه مستبركين مسترشدين، كما أن شعباً بربرياً يُعرف بالمركوماني اهتدى إلى المسيحية بتأثير منه. رقد في الرب يوم الرابع من نيسان عام ٣٩٧، ليلة سبت النور.

الأنبياء

يحتلُّ الأنبياء وكتبهم حيزاً مهماً من الكتاب المقدس، وخاصة في الجزء الأول منه المعروف بالعهد القديم. هناك من نقرأ عنهم الإصحاحات الكثيرة التي تتحدث عن حياتهم، كالنبي ايليا (١ مل ١٧ - ٢ مل ٢) وأليشع (٢ مل)، ولكننا لا نجد كتباً أو أسفاراً باسمهم أو هم كتبوها. في المقابل لدينا أسفار وكتب تحمل أسماء أنبياء، كأشعيا وأرميا وعموس وهوشع وغيرهم، ولكننا لا نعرف سوى القليل عن حياتهم. إلا أن القاسم المشترك بينهم جميعاً أنهم كانوا يتميزون بقدرتهم على سماع كلمة الله وتمييز هذه الكلمة ونقلها إلى مسامع الشعب والملوك والقضاة.

فئة الأنبياء ليست محصورة بالذكور فقط، بل هناك النبيات أيضاً

كمريم النبيّة أخت هرون (خر ١٥: ٢٠) وحنة النبيّة ابنة فنوئيل التي عاشت في وقت ولادة يسوع (لو ٢: ٣٦).

النبي إنسان قريب من الله، همُّه الأساسي أن يتكلم عن الله وعن عمله خارج حدود الهيكل. النبي شخص قادر على تمييز وقراءة فكر الله حول قضية أو حالة معينة، وقادر على معرفة موقف الله من تصرف الشعب في الماضي والحاضر والمستقبل. باختصار، النبي يحمل كلمة الله إلى الشعب، هذه الكلمة التي سوف يدين الله الشعب على أساسها، سلباً أم إيجاباً. هو ضمير المملكة، حكماً وشعباً. النبي نموذج حي لثقب النظر والتفاني والقداسة والالتزام: «فقال لرجلها قد علمت أنه (أي أليشع) رجل الله مقدس الذي يمر علينا دائماً» (٢ مل ٤: ٩). النبي شخص يحمل دعوة خاصة لكي يرى أو يسمع ما يقوله الله، لكي يحيا قول الله في حياته ويعلنه إلى كل الشعب حوله. نشير هنا إلى أن النبي يحيا بشارته قبل أن يعلنها. على هذا الأساس نرى هوشع يسمي أولاده «لو رحامة» و«لوعمي»، أي «لا أعود ارحم» و«لستم شعبي»، وذلك للدلالة على غضب الله على شعبه الذي تركه وسار وراء الآلهة الغريبة (هو ١). ونرى النبي حزقيال ينام بأمر الرب على جنبه ثلاثمئة وتسعين يوماً، كل يوم مقابل سنة، على عدد سني اثم بيت إسرائيل ليحمل اثمهم (حز ٤). النبي يختاره الله ويدعوه ويرسله: «فكانت كلمة الرب إليّ (إلى إرميا) قائلاً: قبلاً صوّرتك في البطن عرفتك وقبلاً خرجت من الرحم قدسك. جعلتك نبياً للشعوب... فقال الرب لي لا تقلّ إنني ولد لأنك إليّ كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلّم بكل ما أمرك به... قد وكلتُك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم

وتَهْلِكُ وَتَنْقُضُ وَتَبْنِي وَتَغْرَسُ» (أر ١٠:٤-١). عاموس النبي كان راعياً للغنم: «فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل» (عا ٧:١٥). المهم أن من يختاره الرب لا يستطيع أن يخبي كلمة الرب في داخله، بل ينقلها بأمانة إلى البشر. لقد حاول يونان النبي أن يهرب من وجه الرب الذي أرسله ليدعو أهل نينوى للتوبة والعودة عن شرورهم. لكن الأحداث التي حصلت معه أثبتت انه لا يستطيع الهرب من وجه الله حتى تحققت رغبة الله ورجع الشعب عن الرديئة و«نديم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه» (يو ١٠:٣).

في العهد القديم كان الشعب يعتبر وجود الأنبياء حاجة مهمة لارتباط الأنبياء بالرسالة التي كانوا يحملونها. وجود الأنبياء دليل على رحمة الله واهتمامه بخلص الشعب. في المقابل كان الأنبياء يلتهبون غيرة على الرسالة التي عليهم نقلها، ولا يستطيعون طمس المهمة التي أوكلت إليهم. هكذا يقف النبي مذكراً بما يريده الله من الشعب. الله يهمله ما يفعله الشعب. هكذا يصبح النبي وسيلة الاتصال بين الله والبشر.

لم تكن مهمة الأنبياء مريحة في معظم الأحيان، بل كانت محفوفة بالخطر على حياتهم. لتتذكر ايليا النبي وصراعه مع آخاب وإيزابيل وكيف عرض نفسه للموت بعدما قال لأخاب «لم أكره إسرائيل بل أنت وبيت أبوك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم» (١ مل ١٨:١٨) وبعدها قتل أنبياء البعل فلحقته إيزابيل طالبة رأسه. هذه كانت حال أشعياء النبي الذي قتل بحد السيف، وحال عاموس وغيرهما من الأنبياء. النبي الحقيقي يشكل تحدياً للشعب ويذكرهم بحاجتهم إلى سماع كلمة

الله وطاعتها. كثيراً ما كان الشعب يرفض هذا التحدي كي لا يتذكر سقطاته. يريد أن يشعر ان الله إلى جانبه، وهذه ليست مهمة النبي إذا كان الشعب خاطئاً. النبي ميخا وقف وحده تجاه أربعمئة مدع للنبوة أمام الملك يهوذاشافاط (١ مل ٢٢). كانوا يحثونه على الذهاب إلى محاربة ملك آرام وانه سوف ينتصر، بينما كان ميخا يقول له «حي هو الرب، إن ما يقوله لي الرب به أتكلم... هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشراً» (١ مل ٢٢:٢٤ و ٢٣). النبي لا يحابي الوجوه، وهو مستعد أن يموت لأجل كلمة الله إذا اقتضى الأمر.

إله الأنبياء إله يخرج من قوقعة الهيكل الذي سجنه فيه كهنة العهد القديم. يخرج إلى الناس ليرى أفعالهم ويحاسبهم، يكافئهم أو يجازيهم. مهمة النبي أن يعلن للناس ان الله أت للدينونة، وعلى الأخص لبيدين شعبه الخاص، ليس على أساس معاملتهم لله بل على أساس معاملتهم للقریب، أي للفقير واليتيم والأرملة والغريب. بكلام آخر النبي هو رجل الآخرة، والقرار بالمكافأة أو المقاضاة هو لله في النهاية. النبي يهمله خلاص البشر، لذا تجده تارة يهاجم وطوراً يعزي ويشدد. يهاجم بعنف عندما يبتعد الشعب بقلبه عن الله ليرده، ويعزي ويشدد عندما يرى الشعب تائباً ويائساً. يعلن أن رحمة الرب أقوى وان الرب سوف يأتي لينقذهم.

من مميزات الأنبياء انهم كانوا يبشرون دوماً بمجيء مخلص. هذا ما سوف نشرحه بالتفصيل في العدد القادم.

بالامكان الإطلاع على النشرة

أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

بالعوارض الخارجية. فإن المائدة التي قدم المسيح عليها أولاً لم تكن من فضة ولا الكأس التي ناول تلاميذه بها من ذهب. وإنما كان شرفها بامتلائها من الروح الإلهي. فإن أردت يا هذا أن تكرم جسد المسيح فاكرمه كما يريد هو لا كما تريد أنت لأن الكرامة إنما تكون مقبولة إذا وافقت غرض الذي تقدم له. لأن الملوك قد يقدم لهم هدايا من الذهب والفضة ولا يلتفتون إلى مهديها إذ لا موقع لها عندهم ولا اعتبار. ويلتفتون إلى من استقبل غلاماً يخصهم في الغربة ولو بقرص من شعر أو شربة من الماء. فإذا عرفنا ذلك فينبغي لنا أن نكرمه الكرامة التي هو فرضها علينا وهي أن ننفق أموالنا على الفقراء ونعول الأيتام والأرامل. لأن الله لا ينظر إلى أواني الذهب بل إلى الأنفس الذهبية. علي انني لا أقول هذا ناهياً إياكم عن أن تقدموا للكنائس مثل هذه الهدايا بل عن الاشتغال بتقديمها عن رحمة المحتاجين حتى ان الاهتمام بهم ينبغي أن يكون أكثر لأن الله يقبل الهدايا ولكن الرحمة أكثر قبولاً عنده. مقدم الهدايا ينتفع بها وحده وأما المتصدق على الفقراء فينتفع مع نفسه كثيرين.

القديس يوحنا الذهبي الفم